

المحاضرة الأولى

مادة عصر الرسالة والخلافة الراشدة

المرحلة : الأولى /الدراسات المسائية / شعبة: أ + ب

الجامعة المستنصرية / كلية التربية - قسم التاريخ

استاذ المادة : أ.م. سحر عبد الله محمد

الفصل الأول

مصادر دراسة عصر الرسالة

١. القرآن الكريم:

القران كتاب الله المنزل باللفظ والمعنى على الرسول واختلاف القراءات فيه قليل ومقتصر على بعض الكلمات فنصه عموما مضبوط يقر الجميع بصحته.

لم ينزل القران جملة واحدة بل نزل منجما في بحر ثلاثة وعشرين سنة وقد ذكر في اياته بعض الحوادث التي واجهها الرسول (ﷺ) والاسلام وفصل في بعضها كما انه عرض الافكار الاسلامية والكفار والمشركين وفند ارائهم وحججهم وافكارهم المتباينة والمتنوعة والمختلفة باختلاف الاحوال والظروف والاشخاص لذا فان القران يلقي ضواً ساطعاً على المشاكل التي واجهها الرسول (ﷺ) والعقبات التي اعترضته والصعوبات التي واجهته كما يتبين من وجهات نظر المعارضين.

وقد عبر القران عن كثير من الازمات التي كان يلاقيها الرسول (ﷺ) والمسلمون واقتراح الاجابات والحلول لها وهي ازمات منوعة متبدلة بعضها قوي طويل الامد وبعضها مؤقت قصير الاجل ويمكن القول عموما ان تكرار الموضوع الواحد في القران دليل على انه لاقى كثيرا من المقاومة والنقاش.

فالقران هو المصدر الاول لدراسة نشأة الاسلام وعقائده نظرا لاصالته ولما فيه من اشارات واخبار عن عصر الرسول (ﷺ) وما لاقته الدعوة غير ان الاستفادة من القران في دراسة تاريخ الرسول والدعوة الاسلامية ليست سهلة نظرا لانه لم يشمل بالذکر كافة الحوادث التي مر بها الاسلام او كل الأعمال التي قام بها الرسول (ﷺ) او كافة من اتصل بهم واحتك فيهم من الاشخاص والواقع انه لم يرد الا اسم شخصين فقط احدهما مشرك هو ابو لهب عم النبي (ﷺ) والثاني مسلم هو زيد بن حارثة ربيب الرسول (ﷺ) ثم ان كثيرا من الاوضاع والمؤسسات والنظم الجاهلية التي اشار اليها القران زالت بعد مجيء الاسلام واندرست ولم يبق لها اثر مما ادى الى اختلاف الشراح والمفسرين في توضيحها حتى انه يصعب علينا اليوم الجزم في صحة واحد من هذه التفاسير او تفضيله على غيره.

ولعل اكبر صعوبة تصادفنا عند محاولة الاستفادة من القران الكريم في الدراسة التاريخية لحياة الرسول (ﷺ) والاسلام وخاصة في الدور المكي هي معرفة زمن نزول الآيات ذلك ان العلماء المسلمين الذين بحثوا اسباب النزول اکتفوا بذكر سبب نزول آيات معينة محدودة تشير في الغالب الى احكام وحوادث او اشخاص معينين كما ان الباحثين في الناسخ والمنسوخ درسوا في الغالب تعاقب نزول الآيات الناسخة والمنسوخة خاصة في الاحكام القضائية وهي آيات محدودة العدد نسبيا في القران اما بقية الآيات فلم يتطرقوا لها رغم اهميتها الكبرى في دراسة تطور الدعوة الاسلامية وما لاقته.

لقد بحث العلماء المسلمون ايضا تعاقب نزول السور وردوا ترتيبها حسب نزولها وقد اختلفوا في ابحاثهم اختلافا كبيرا ومع ذلك فان دراستهم غير كافية لان السورة الواحدة لم تنزل مرة واحدة بل كثيرا ما تكون في السورة الواحدة آيات مكية

واخرى مدنية او تكون الواحدة مكية خالصة ولكن آياتها نزلت في فترات متباعدة ثم جمعت في سورة واحدة فالاعتماد على هذه الروايات غير كاف.

وقد حاول بعض المستشرقين دراسة زمن النزول ولعل ابرزهم (تيودورد نودلقة) في كتابة تاريخ القران الذي اتخذ الاسلوب معيارا لمعرفة زمن نزول السور واعتبر السور الاولى آياتها قصيرة مسجوعة اما السور المتاخرة آياتها طويلة غير مسجوعة في الغالب ولكن دراسته ناقصة شان دراسة العلماء المسلمين من حيث ان آيات السورة الواحدة تكون نزلت في اوقات متباعدة.

ربما كانت هذه الصعوبات من اهم الاسباب التي ادت بالباحثون للسيرة النبوية الا يستفيدوا من دراسة القران الاستفادة الكافية رغم اهميته الكبرى وبذلك خسر الفكر خسارة كبرى، وقد حاول بعض المحدثين وخاصة من المستشرقين امثال شبرنجر وموير وكايتاني ويوهل معالجة ذلك والاستفادة من القران في دراسة حياة الرسول (ﷺ) أما العرب فلا اعلم من حاول ذلك بصورة شاملة الا محمد دروزة في كتابة عصر الرسول وبدايته وسيرة الرسول.

س/ ماهو المنسوخ ؟ الآيات التي يبطل العمل بأحكامها بعد ان تنتسخ بآيات تليها في النزول.

٢. الاحاديث والسنة النبوية

اما سنة الرسول (ﷺ) فهي كل ما قاله الرسول (ﷺ) او عمله او اقره او راه فلم ينكره ويختلف الحديث عن القران من حيث كون القران منزلا من الله لفظا ومعنى وان الحديث مصدره الرسول (ﷺ) والسنة لم تدون في زمن الرسول (ﷺ) وهناك روايات بان الرسول (ﷺ) وعمر بن الخطاب نهيا عن محاولة تسجيل سنة الرسول (ﷺ) واحاديثه

واقدم محاولة رويت لتسجيل احاديث الرسول (ﷺ) كانت في زمن عمر بن عبد العزيز أي في نهاية القرن الاول الهجري واقدم الاحاديث المدونة الباقية هي موطأ مالك وقد وصلنا في عدة روايات وقد اورد كل من ابي حنيفة وابي يوسف ومحمد بن الحسن الشيباني والشافعي عددا من الأحاديث فيما الفوه وقد جمعت أحاديث كل منهم في مجاميع او مساند واكثرها مطبوع ولكن هذه الاحاديث هي قليلة نسبيا ولا تشمل كل اقوال الرسول (ﷺ) واعماله وجدير بالملاحظة ان هؤلاء المؤلفين هم فقهاء تناولت ابحاثهم المشاكل الفقهية بالدرجة الاولى كما ان كثيرا منهم لم تشمل ابحاثهم تفاصيل مهمة لذا يمكن القول بان الأحاديث المروية عنهم تؤكد على ما يتصل بالفقه وانها اوردت لتخدم هذا العلم فهي ليست خالصه لاحاديث الرسول (ﷺ) ولا يرد فيها كافة ما يعرف عن حياة الرسول (ﷺ) وان مركز الرسول (ﷺ) كقدوه للمسلمين في حياتهم كما قال تعالى (لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة) وتزايد اهمية السنة في التشريع دفعت الناس من غير الفقهاء الى الاهتمام باحاديث الرسول (ﷺ) ودراستها كما ادت الى اختلاف كثير في الاحاديث ونسبتها الى الرسول (ﷺ) وقد ادى كل هذا الى انفصال الحديث تدريجيا عن الفقه والى اهتمام العلماء وخاصة من القرن الثاني الهجري في تدقيق الأحاديث وغربلتها وتنقيتها من العناصر الغريبة والمختلقات والأكاذيب ومع ان هؤلاء العلماء بذلوا جهودا عظيمة رائعة الا ان اهتمامهم كان منصبا بالدرجة الاولى على النقد الظاهري دون الباطني أي على الرواة ورجال السند دون نصوص الحديث ومع ان هذه المحاولات ادت الى غربلة كثير من الاحاديث الا انها لم تؤدي الى تنقيته التامة فضلا عن ان الاحاديث مثار نقاش حول مدى صحتها ودقتها ومن اهم نتائج توسيع الاحاديث وانفصالها عن الفقه وغربلتها ظهرت مجموعات من كتب الحديث الصرفة واهمها صحيح البخاري

وصحيح مسلم وسنن الترمذي وسنن ابن ماجة وسنن داود يضاف اليها(موطا مالك) ولصحيح البخاري وصحيح مسلم مكانة خاصة نظرا لشدة تدقيق صاحبها وقلة الشوائب فيهما بالنسبة للباقية.

كتبت هذه الكتب عن سيرة الرسول (ﷺ) واعماله وما اقره من احكام في مختلف نواحي الحياة السياسية والمالية والادارية فضلا عن احكام الدين والطقوس والعبادات ومروياتهم عن حياة الرسول (ﷺ) واعماله السياسية والادارية ذات اهمية الا انها قليلة نسبيا رغم انها جوهر التاريخ ثم ان الاحاديث المتصلة والمتعلقة بحياة الرسول (ﷺ) لا تختلف كثيرا عما اورده المؤرخين الآخرين ومن الملاحظ ان اصحاب كتب الصحاح لم يتحرروا تماما من تأثير الفقهاء الذي يتجلى في زيادة اهتمامهم بالمشاكل الفقهية وترتيب كتبهم على نمطها.

لقد قام كثير من العلماء القدامى في شرح الاحاديث وتفسيرها الا انه لم تقم محاولة جدية لايجاد الصلة الزمنية بينها او ربطها وتفسيرها واستخدامها لاعطاء صورة للاوضاع التاريخية نظرا لان محاولة تحليله او ربطه مع غيره وبذلك كانت محاولاتهم مفككة لا تكون وحدها تاريخها متصلا ويلاحظ ايضا ان هذه الاحاديث غير مرتبة ترتيبا زمنيا وقلما يشار الى زمن نزولها مما يخلق صعوبة كبرى لدارس التاريخ الذي يقوم ببحثه على اساس ترتيب الحوادث زمنياً.

وان هذه المصاعب من اهم العوامل التي جعلت كثيرا من دارسي حياة الرسول (ﷺ) يتحاشون قراراتها ولا يستفيدون منها بمهارة او كفاية رغم اهمية ما فيها من معلومات وبذلك كانت محاولاتهم واضحة النقص.

٣. المؤرخون العرب والبلدانيون

اما المؤلفات التاريخية عن حياة الرسول (ﷺ) وتسمى عادة بكتب السيرة وهي مشتقة من السير في الحياة فقد بدأ الاهتمام بتدوينها بعد منتصف القرن الاول الهجري أي بعد وفاة الرسول (ﷺ) بخمسين سنة او اكثر وساهم في تدوينها العرب والموالي وكانت في البداية بسيطة تتناول بعض نواحي حياة الرسول (ﷺ) واعماله وهي متأثرة بالفقه والادارة اذ تهتم بقوائم اسماء المسلمين الاول او المشتركين بالغزوات الاولى كما تتطرق الى احكام الرسول (ﷺ) وقضاياه اما اسلوبها فهو بسيط واضح اقرب الى الاسلوب القصصي وتروي خلال سردها الحوادث بعض القصائد والاشعار وهي بصورة عامة مفككة غير مترابطة ولا تعير الاسناد اهمية كبرى واول من رويت عنه اخبار السيرة هو ابان بن الخليفة عثمان بن عفان (رضي الله عنه) ولد سنة ٢٠هـ وعين زمن الخليفة الاموي عبد الملك بن مروان واليا على المدينة ويلى ابان في الترتيب الزمني عروة بن الزبير بن العوام ولد حوالي سنة ٢٣هـ وقضى حياته في المدينة محبا للعلم ومهتما به وكان له اصحاب يجلسون في حلقة بمسجد المدينة يتداولون الاخبار منهم عبد الملك بن مروان قبل تسنمة الخلافة ولقد دون عروة معلوماته عن تاريخ الرسول (ﷺ) بشكل اجوبة لاسئلة وجهها اليه عبد الملك وابن ابي هنيذة كاتب الوليد وهذه الاجوبة تتعلق بالهجرة الى الحبشة وهجرة الرسول (ﷺ) الى المدينة وبغزوة بدر وفتح مكة ووفاة خديجة وزواج الرسول (ﷺ) باخت الاشعث بن قيس وهو يحلي كتاباته بمقتطفات من الشعر ولا يهتم كثيرا بذكر رجال السند والاسم الثالث في تاريخ سيرة الرسول (ﷺ) هو ابن سعد والاسم الرابع هو وهب بن منبه الذي اشتهد بكتابه عن الشعوب والامم القديمة ولكنه كتب ايضا في

سيرة الرسول (ﷺ) وقد حفظت عن كتاباته قطعاً تتعلق باجتماع دار الندوة والهجرة وغزوة بني خيثة.

ويتلو هؤلاء في الترتيب الزمني عبد الله بن ابي بكر بن عمر بن حزم وكان جده واليا للرسول (ﷺ) على نجران وابوه قاضيا في المدينة واليا عليها زمن سليمان بن عبد الملك وعمر بن عبد العزيز اما عبد الله بن ابي بكر فلم يتولى منصبا رسميا بل اهتم بالحديث وبالمغازي وبشباب الرسول (ﷺ) والاعوام الاولى من حياته وبوفود القبائل الى الرسول (ﷺ) كما روى اخبارا عن ردة القبائل العربية وعن اواخر ايام عثمان وقد روى ايضا كتب الرسول (ﷺ) الى بعض اهل اليمن والى عمرو بن حزم لقد استمد ابن حزم معلومات من خالته عمرة ولا يهتم بالسند وقلمما يورده ولكنه يورد الشعر في مغازيه ومن ابرز مؤرخي السيرة الزهري وهو قريشي من قبيلة زهرة لقد كتب الزهري عن مواضيع كثيرة فتناول اسنان الخلفاء أي اعمارهم كما تناول حياة الرسول (ﷺ) حيث يقتبس منه ابن سعد والطبري للزهري تلاميذ كثر ويحتل ابن اسحق مكانة خاصة بين مؤرخي السيرة نظرا لان معظم ما كتبه عنها وصلنا عن طريق ابن هشام والطبري الف ابن اسحق كتابه في السيرة وهو يتكون من ثلاثة اقسام المبتدأ والمبعث والمغازي ولم يصلنا هذا الكتاب بل وصلنا برواية ابن هشام وفي هذه الرواية بعض التحوير للكتاب.

ومن مؤرخي السيرة الاخرين الواقدي الف كثيرا من الكتب في الفقه والتاريخ الجاهلي كمكة والمدينة وطفولة النبي (ﷺ) وحياته وأزواجه ووفاته وعن الاوس والخزرج وابي بكر والجمال والحسن والحسين وفتوح الشام والعراق ومراعي قريش معظم اساتذة الواقدي من اهل المدينة كالزهري ومعمر وابي معشر وغيرهم وقد اهتم الواقدي بالغزوات وهو يتبع في ذلك نمطا خاصا فيذكر سنة خروج الرسول (ﷺ) ورجوعه ثم اخبار الغزوة ثم نائب الرسول (ﷺ) في المدينة ثم يروي بعض الاشعار

وهو يحدد التواريخ ويبيدي احيانا اراءه الخاصة في الحوادث هنا وهناك اسماء اخرى من هؤلاء الكتاب كأمثال ابن سعد وابن النديم وياقوت والسخاوي وحاجي خليفة وغيرهم.

كتب البلدان

في الكتب الجغرافية بعض المعلومات عن الاماكن التي لها علاقة بالسيرة وكثيرا ما تورد اخبارا هامة عن حياة الرسول (ﷺ) واعماله واهم هذه الكتب مكة واخبارها وجبالها واوديتها للزرقي ومكة واخبارها في الجاهلية والاسلام للفاكهي وهناك كتب اشار اليها ابن النديم ولكنها مفقودة الفها كل من ابي عبيدة والواقدي والمدائني وابن شبه والبلخي وابي اسحق كما الف عن المدينة عدد من الكتاب منهم الزبير بن بكار وابن شبه والمدائني ولكن لم يطبع الا كتاب وفاء الوفا في اخبار دار المصطفى الذي اورد فيه السمهودي معلومات واسعة قيمة مستمدة من المؤلفين الاول ان اغلب المؤلفات التاريخية التي وردت اسمائها مفقودة وغير مطبوع وهي تعتمد على سيرة ابن هشام وتاريخ الطبري وطبقات ابن سعد التي شملت كتب المؤرخين الاول وهي بلا شك اقل تفصيلا من المؤلفات المتأخرة ولكن يمكن القول بانها ادق نظرا لقدمها.

كتب المستشرقين

تناول المستشرقون الغربيون حياة الرسول (ﷺ) فيما تناولوا من ابحاث عن التاريخ الاسلامي ولا شك ان التعصب والتجامل كانا يطغيان على كتابات هؤلاء المستشرقين نظرا لتأثرهم بروح التعصب الديني الذي كان مسيطرا ومتبلورا بتأثير الحروب الصليبية ونظرا لضعف معرفتهم باللغة العربية وقلة المصادر المتوفرة لديهم غير انه لم يخل الغرب اوائل العصور الحديثة من مفكرين معتدلين امتدحوا الاسلام.

ولكن منذ القرن التاسع عشر بدأ الاهتمام بدراسة المخطوطات العربية وطبعها واخذ المستشرقون يدرسون تاريخ الشرق لذاته واهتم بعضهم بنواحي من حياة الرسول (ﷺ) ومع ان فريقا منهم يتقن كل ذلك الا ان عددا غير قليل كان يتميز بسعة الاطلاع وبعد النظر وعمق التفكير رغم انه لا يمكن القول بان احكامهم نهائية ولعل من ابرز هؤلاء الذين كتبوا عن حياة الرسول (ﷺ) في اواخر القرن التاسع عشر واوائل القرن العشرين هم وليم موير وشيرنجر، وكايتاني ، وقد ظهر بعد الحرب العالمية الاولى عدد من الابحاث عن الرسول (ﷺ) وحياته تتميز بالاعتدال وبحسن التقدير للنواحي الروحية بالاستفادة من القران ومن اهمها ابحاث بوهل ونور اندريه وكذلك بيل اخيرا مونتكمري وات.

الابحاث الحديثة

اما في الشرق فقد بدأ الاهتمام بدراسة السيرة النبوية واعمال الرسول (ﷺ) كجزء من النهضة الفكرية الحديثة ولعل ابرز هؤلاء الكتاب المحدثين هو محمد حسين هيكل الذي بدأ بترجمة كتاب (محمد ﷺ) لترجمتهم بأسلوب جذاب واثار نجاح هذه الترجمة الى حماس في نفوس عدد من المؤلفين أمثال طه حسين والعقاد وغيره.

المصادر السريانية

ايضا تعتبر من المصادر التي وردت فيها معلومات يمكن الاستفادة منها في بيان بعض الاحداث التاريخية المتعلقة بعصر الرسالة.